المطلوب:

كمامات ضد جراثيم الطائفية

نذكر حكايات اجدادنا عن اوبئة الطاعون والكوليرا والحصبة التي كانت تجتاح بلادنا ولا تتركها الا وقد حملت معها المئات والالاف من الضحايا والقلوب المفجوعة والخواطر المكسورة.

ويتقدم الطب، عالميا، فقد اصبحت هذه الاوبئة اقل خطرا لتحل محلها اوبئة من نوع جديد، بعضها يدخل خانة الامراض النفسانية.

ونذكر وباء الاقليمية ووباء الطائفية والقبلية في هذا الاطار الذي يبدو سياسيا على السطح الا انه قادم اصلا من اغوار النفس فكرا وحلما ووهما.

ولعل الخطر الوبائي الاكثر تفشيا الأن هو الطائفية، التي اصبحت لفظة شبه عادية في هذه الايام رغم كونها هامشية في قاموس حياتنا على امتداد القرون.

ان ارتفاع مستوى الوعي السياسي والاجتماعي لدى الشعب العربي الفلسطيني منذ القدم، جعل الطائفية امرا معيبا او غير مقبول لدى جماهير هذا الشعب القائمة اصلا على التعددية المذهبية والعقائدية.

وبالاضافة الى الاسباب الخارجية التي تشجع التعصب الطائفي، والمقصود هو المحرضات القادمة من خارج هذا الشعب، فان العامل

الذاتي له دوره النافذ. ويتلخص العامل الذاتي ، كما نرى، في مزاج الاحباط الذي يسيطر على قطاعات واسعة نظرا لاستمرار العذاب الفلسطيني والانتفاضة الباسلة دون نتائج سياسية ملموسة على الساحة.

ونحن نحذر من مزاج الاحباط لأنه قائم في الاساس على تصور خاطيء لمجريات التاريخ. ذلك ان حركة التاريخ لا تتم بشكل آلي-رياضي، ولا يمكن حسبان الاسباب والنتائج بشكل سطحي أحادي الاتجاه.

ومن معاني الاحباط، فقدان السيطرة على الذات وعلى الفكر وعلى الوعي، ولا نرى مبررا لفقدان هذه السيطرة، لان عدالة قضيتنا وطروحاتنا المعروفة غير قابلة للنقض الابدي، وتبقى مسألة الوقت والارادة وصواب الرؤية وكلها في صالحنا.

ان المتنورين من ابناء هذا الشعب، على اختلاف عقائدهم واتجاهاتهم الفكرية والسياسية والاجتماعية، مطالبون بالعمل الجاد على تدارك الامور. ولا يتم مثل هذا العمل عشوائيا. لذلك نرى ضرورة في عقد منتدى فكري او منتديات فكرية لوضع الاسس لمثل هذا العمل ولتحديد الفعاليات المطلوبة وتنفيذها دون ابطاء.

ومثل هذا العمل من شأنه ان يقوم مقام الكمامات الواقية من جراثيم الطائفية.

«العربي» ١٩٩٠/١١/٢٣